المحاضرة السابعة: آليات صناعة المصطلح 1: الترجمة

لقد شكّلت الترجمة جسرا تواصليا حضاريا بين الأمم المختلفة؛ ذاك أنّها القناة اللسانية لنقل الركام المعرفي من البيئات المنتجة إلى نظيرتها المتلقّية؛ فهي تمثّل "إحدى آليات تمكين المجتمع عند حشد الطاقات والكفاءات واقتناص الخبرات وصولا إلى مستقبل منشود تحدَّدَ مجتمعيا في ضوء التحدّيات الحضارية لعصر بذاته. وتمثّل الترجمة هنا تجلّيا لفهم معرفي يسود جميع مؤسسات وأفراد المجتمع، كلّ فيما يخصّه، تعزيزا لبنية المجتمع وقدراته وفعاليته وعلاقاته محلّيا وإقليميّا وعالميا" [1].

ويحسن القول، أنّ العربية قد أفادت من الترجمة "فائدتين: مباشرة وغير مباشرة، كانت الفائدة المباشرة نقل العلوم والمعارف والفنون المختلفة إليها، وما انبنى على ذلك من معرفة طرائق التفكير وأنماط الثقافة الأوروبية العصرية. أمّا الفائدة غير المباشرة فكانت العناية بالقواميس الأجنبية والعربية، والاهتمام بالمصطلحات العلمية وقد كان للمترجمين فضل عظيم في تطويع العربية لمطالب هذه العلوم والفنون وفي إكسابها صبغة علمية وبتخليصها من قيود الصنعة البديعية" [2].

وبخصوص الترجمة المصطلحية فإنّها تعرف بأنّها "وسيط تواصلي بين اللغات والثقافات؛ حيث يمارس المصطلح المترجم ترحالا وظيفيا تحرر فيه القواعد المعجمية للفوز بالمعنى الواحد في خطابات الترجمة مما يقتضي التعامل مع شبكة اصطلاحية متجانسة، تتوزع استراتيجيا لتحقق التضمين المناسب والتنوع اللغوي المعادل" [3].

ولعلّ الإشكالية التي تطرحها الترجمة المصطلحية للمصطلحات الوافدة إلى وطننا العربي لم تكن متعلقة ببدائل لفظية تتمايز في رسم جهازها الصوتي والتركيبي ولكنّه "في مستويات تلقي المصطلحات الأجنبية وترجمتها إلى العربية خاصة عندما تؤخذ بشكل عارض أو بادراك طارئ، لا يؤسس على خلفية معرفية شمولية تدرك المحيط الثقافي الذي أنتج المصطلح" [4].

---

[1] شوقي جلال، الترجمة في العالم العربي: الواقع والتحدّي، سلسلة دراسات الترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص69.

[2] محمد حسن عبد العزيز، التعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1990، ص167.

[3] سعيدة كحيل، الترجمة والمصطلح، مجلة الآداب العالمية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا ، 2010 ، ع144، 29.

[4] السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2009، ص115.

وفي هذا السياق، ينوّه (عبد الملك مرتاض) إلى سلبيات النقل الآلي لمصطلحات الآخر؛ إذ يقول في هذا الصدد: «كثيرا ما نتساهل أو نتسامح، نحن العرب، مع اللغات الأجنبية فندعها تتسرّب إلى لغتنا تحت علل مختلفة من بينها ادّعاء وضوح المصطلح المنقول. والحقّ أن ذلك السلوك المتّسم بالتواكل والتجاوز يعود أساسا إلى التكاسل وضعف الرغبة في البحث عن مقابل دقيق، أو قريب من الدّقة للمصطلح الغربي المراد تعريبه كما يعود إلى ضعف الغيرة القومية على هذه الضاد»[5].

بهذا، فإنّ تفعيل آلية الترجمة في المجال المصطلحي يتطلّب التبصّر في الجانبين (اللغوي/الثقافي) للمفاهيم والمصطلحات الوافدة؛ فحين "نقوم بعملية الترجمة فإنّنا لا نترجم من لغة إلى لغة أخرى فقط؛ بل من ثقافة إلى ثقافة أخرى، وذلك نظرا للارتباط العضوي الذي يجمع بين اللغة والثقافة، فعملية الترجمة على هذا الأساس عملية ثقافية لا تنحصر فقط في مجال الوحدات اللغوية؛ بل تتعدّى ذلك لتطال مجموعة من التصوّرات الاجتماعية وطرق التفكير التي تحملها اللغة وتعبّر عنها" [6].

وبالتالي، فإنّ الإحاطة بخلفيات المفاهيم ومنابعها الأولى المنبثقة عنها حتمية جبرية لكشف الالتباسات الترجمية في لغة الهدف. ولقد شدّد (محمد عابد الجابري) على هذا المرتكز المعرفي والمنهجي واصطلح عليه بـ(تبيئة المفهوم)؛ والتي تقتضي خطوتين أساستين "الأولى التعرّف عن قرب على تاريخ المفهوم، الذي يراد نقله، تاريخه كما تعطيه المرجعية التي جاء منها. والثانية هي النظر في كيفية إعادة استنبات ذلك المفهوم في المرجعية التي يراد نقله إليها" [7].

ومن جهة أخرى، فإنّ النصوص المترجمة في نظر (يوسف بكار) –مثلا– تظلّ "المصادر الأساسية التي يتعرّف من خلالها عدد كبير من الكتاب والنقاد العرب الذين لا يقرؤون بغير اللغة العربية على المفاهيم والمصطلحات الإجرائية والرؤية المتعددة في النظرية الأدبية المعاصرة، فتتشكّل حصيلة كلّ منهم النظرية من هذه المادة المغتربة

---

[5] عبد الملك مرتاض،تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة لرواية "زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، (د.ط) 1995 ص210.

[6] عبد الرزاق مسلك، أهمية البعدين الاجتماعي والثقافي في عملية ترجمة المصطلح الأجنبي، ضمن كتاب: قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية إعداد: عز الدين البوشيخي، محمد الوادي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، (د.ط)، (د.ت) ج2، ص39.

[7] عبد الفتاح القلقيلي، في دلالات المصطلح، مجلة أفكار، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، الأردن، ع250، 2009، ص20.

عن أصلها وترتفع الحواجز الشاهقة بينهم وبين ما يقرؤون من رطانة، ويصبح استعمالهم لها مريضا بالرطانة نفسها التي تغلب على الترجمات" [8].

كما يضعنا الباحث (جميل الملائكة) أمام معظلة الترجمة العلمية، والتي تنجرّ عنها ما أسماه بـ(الكتابة العلمية الواهية)؛ والتي ساق لها مسبّباتها وتأزّماتها لدى المترجم، فنراه قائلا: «ويلاحظ أيضا أنّ كثيرا من العلماء القليلي المعرفة باللغة العربية وصرفها وقواعدها، وخاصة الذين لم يمارسوا الترجمة العلمية منهم يعتقدون بسهولة الترجمة. غير أنّ الواقع أنّه كلّما ازداد القائم بالتعريب معرفة باللغة ازدادت معاناته في اختيار المصطلحات المناسبة للمدلولات العلمية التي تواجهه» [9].

ويبدو أنّ معظم المتخصّصين مطّلعون على اللغات التي يترجمون عنها، ولكنّ بعضهم "يجانبون الفهم الصحيح للمصطلح الأجنبي ممّا يوقعهم في الخطأ، وقد لا يستطيع المترجم تحديد الصيغة العربية التي تؤدي المفهوم الدقيق للمصطلح الأجنبي فيلجأ إلى صيغة لا تؤدي المعنى أو يلتزم باقتراض المصطلح الأجنبي وإدخاله كما هو" [10].

ختاما، فإنّ للترجمة فائدتها المثمرة في مجال نقل المصطلح العلمي من لغة الأصل إلى لغة الهدف، فهي الجسر المعرفي التواصلي بين البيئات العلمية المختلفة؛ ولكن جانبها المظلم متعلّق بتلك الانتكاسة الترجمية المصطلحية التي أقدم على طرحها المترجمون في كتاباتهم، إذ يقف القارئ أمام سيل مصطلحاتي للملفوظ الأجنبي الواحد وهو الأمر الذي يشكّل توترا وأزمة داخل الصرح اللساني العربي المعاصر؛ ذاك أنّ عدم توخّي الدقة في فهم مرجعيات المصطلح الأجنبي، ومعرفة ظروف انتاجه، يجعل المادة المصطلحية المترجمة بعيدة عن المفهوم الأصلي الأوّلي؛ وهو الامر الذي لا يخدم التواصل العلمي المعرفي مع الآخر الغربي.

---

[8] عبد الحميد العبدوني، مشاكل ترجمة المصطلح النقدي الحديث، ضمن كتاب: قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، إعداد: عز الدين البوشيخي محمد الوادي، (د.ط)، (د.ت)، ج2، ص8.

[9] جميل الملائكة، في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه، اللسان العربي، ع24، 1985، ص35.

[10] مصطفى طاهر الحيادرة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د.ط)، 2003، ج3، ص41.